قدسية الروح

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

ما هو معنى القُدسِيَّة؟ وما هو معنى القول: قَدَّسَ اللهُ روحَهُ أو فلانٌ مُقَدَّسٌ؟

يظنُّ البعضُ أنَّ عباراتِ (قَدَّسَ اللهُ روحَهُ) أو (قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ) أو (نوَّرَ ضريحَهُ) خاصَّةٌ بالعلويِّينَ، ولذلكَ يخجلونَ من ذكرِها أمامَ العامَّةِ، ولكنَّ الحقيقةَ أنَّها مَقولةٌ مُتَدَاوَلةٌ عندَ الطَّوائفِ الأخرى أيضًا، ولكنَّ الاختلافَ كالعادةِ يكمنُ في سَطحيَّتِهم وعُمقِنا.

فعندَهم أنَّ عبارة (قَدَّسَ اللهُ روحَهُ) تعني (طَهَّرَ اللهُ روحَهُ)، كما أنَّ عبارةَ (نوَّرَ ضريحَهُ) يعني قبرَهُ، لكنَّ عبارةَ (قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ) تُستَعمَلُ عندَ الصُّوفيَّةِ منهم، فالرُّوحُ تحتاجُ- وفق زعمِهم- إلى تَطهيرٍ إذا كان فيها شيءٌ ممَّا يُدَنِّسُها! وهذهِ شُبهَةٌ لأنَّ مَن يحتاجُ إلى التَّطهيرِ هو النَّفسُ، وبها يلحَقُ دَنَسُ الشِّركِ معنويًّا كما تلحقُ النَّجاسةُ بالجسدِ ماديًّا.

وقد استندَت الطَّوائفِ الأخرى إلى التَّفسيرِ اللغويِّ فقط، حيث أنَّ التَّقْدِيسَ في اللُّغةِ يعني التَّطْهِير والتَّبْريك. ولكنَّ الشِّيعةَ زادُوا على الطَّوائفِ الأخرى شُبهتَين:

- الأولى: إسقاطُ العصمةِ عن الأئمَّةِ والأنبياءِ الْمَعصومينَ (ع)، وجعلُهم خاضعين للحالاتِ البشريَّةِ!
- الثَّانية: تسييسُ القداسةِ لتكونَ خاصَّةً بالشِّيعةِ دونَ غيرِهم، حيثُ نَسَبوا للأئمَّةِ أحاديثَ لم يُردِّدْها غيرُهم، فقد نَسَبُوا كَذِبًا للإمامِ جعفر الصَّادقِ علينا سلامُهُ أنَّ زائرَ الإمامِ الحسينِ علينا سلامُهُ لم يَزَلْ يُقَدَّسُ بكلِّ خُطوَةٍ حتَّى يَأتيهِ! وأنَّهُ قالَ مَا دَلَّ على تقديسِ زوَّارِ الإمامِ الحسينِ علينا سلامُهُ: (ثمَّ اكتَنَفُوهُ، وقدَّسُوهُ، وينادونَ ملائكةَ السَّماءِ أن قَدِّسُوا زُوَّارَ حبيبِ اللهِ). عَدَا عن القولِ الْمَنسوبِ للإمامِ جعفر الصَّادقِ علينا سلامُهُ أيضًا: (تُربَةُ قُمٍّ مُقدَّسَةٌ، وأهلُها منَّا)!!

لقد تَجاهَلوا حديثَ سيِّدنا النَّبيِّ الأعظم محمَّد (ص): (إنَّ الأرضَ لا تُقَدِّسُ الإنسانَ، وإنَّما يُقدِّسُهُ عَمَلُهُ)، فَهُمْ جَعَلُوا القداسةَ للأرضِ لا للعملِ، كما فعلَ الجُهَّالَ الذينَ وبَّخَهمُ سيِّدُنا النَّبيُّ عيسى الْمسيحُ (ع) لأنَّهم قدَّسُوا الْمَادِّيَّ دونَ إدراكِ الْمَعنويِّ، فقالَ لهم (ع): (أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟ وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ،

وَلَكِنْ مَنْ حَلَفَ بِـالْقُرْبَـانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ! أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلْقُرْبَانُ أَمِ الْمَذْبَحُ الـَّذِي يُقَـدِّسُ الْقُرْبَـانَ؟ فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِالسَّاكِنِ فِيهِ، وَمَنْ حَلَفَ بِالسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ اللَّهِ وَبِالْجَالِسِ عَلَيْهِ!).

نحنُ كعلويِّينَ نُصـــيريِّينَ نردِّدُ هذا العبارةَ تكريمًا عندما نزورُ مَقاماتِ أولياءِ اللهِ الْمُخلِصـــينَ فنقولُ: (قدَّسـَهُ اللهُ) أو (قَدَّسَ اللهُ روحَهُ)، والقدسـيَّةُ ها هنا تكونُ لنفوسِ الْمؤمنينَ الطَّاهرةِ، وليسَ للأرضِ والتُّرابِ والحجارةِ ورفاتِ العظامِ.

وقولُنا بمثابةِ اتِّصالٍ بالْمُؤمنِ للشُّمولِ برعايةِ روحِ القُدُسِ ليتحَقَّقَ الإيمانُ الثـَّابتُ بدليلِ قوله تعالى: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشـْرَى لِلْمُسـْلِمِينَ)، وبهذا يكونُ الارتقاءُ إلى العالمِ الأعلى الْمُقَدَّسِ في قوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ)، فالأرضُ ليسَت كربلاءَ أو قُم أو الشَّام أو الكوفة أو غير ذلكَ، بل هي عالمُ الْمَلَكُوتِ الذي وُعِدَ بهِ الْمُخلِصونَ، وهي الْمُشارُ إليها بقولِهِ تعالى: (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)، وقوله: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى).

والْمُؤمنُ القويُّ ذو العقيـدةِ الســـَّليمـةِ يَرتقي بمِقدَارِ العلمِ الإلهيِّ والْمَعرفةِ التَّوحيديَّةِ والعملِ الحقيقيِّ، وحينَ تَخلعُ نفسـُهُ نَعلَي التَّشـبيهِ والتَّعطيلِ ترتقي إلى الْوَادِ الْمُقَدَّسِ وتسـمَّى روحًا، لهذا نقول: (قدَّسَ اللهُ روحَهُ)، أي جَعَلَها ساكِنَةً في دارِ القُدسِ عندَ خَلاصِها.

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني العلوي الدكتور أحمد أديب أحمد